الخاتمة

وبعد..

فإن هذه التجربة التي امتدت على طول فصول هذا الكتاب التي اتسعت لتغطي على جغرافية الفكر الإسلامي العربي مساحة شاسعة- تبرهن على مجموعة من المحددات التي حكمت مسيرة النشاط المعجمي العربي أو قطاع منه، ظل مسكوتا عنه لفترة طويلة جدًّا، وما يزال، بسبب من الانتصار غير الصحي للبحث المعجمي تأريخا وتصنيفا ونقدا المنحاز للتقليدية والتكرار.

وقد حرصت هذه الفصول أن تؤكد أن المعجمية العربية ظلت حاضرة بامتياز في خلفية العالم الذي شكله التصور الإسلامي، وخلقه، وأوجده في مدركات العقل العربي المسلم.

لقد تقدمت المعجمية لتخدم نصوص الوحي في أصليه العظيمين (معاجم الغريبين)، وما نتج عنه ودار في فلكه من علوم (معاجم الفقه المعاصرة/ معاجم مصطلح الحديث)، وما هدف إليه ترسيخه في الحياة من النظر إلى الله تعالى (العناية بمصطلحات العقيدة).

ثم تقدمت مرة أخرى غير هيابة إلى منطقة خدمة المنجز الحضاري للأمة، أصولا وتطبيقات وأثرًا، فظهرت معاجم علم المخطوط، ومعاجم البحث والتأليف، لتبرهن على وعي أصيل بقيمة الوعاء المستوعب للعلم (المخطوط) في الحضارة العربية، وطرائق الإفادة منه في (البحث والتأليف). كما ظهرت معاجم ألفاظ الحضارة، والاقتصاد، والعسكرية؛ لتقرر تمدد التجليات المصاحبة والناتجة معا عن التصور الجديد للعالم الذي ولد ميلاده الجديد بسبب من انتشار حضارة الكتاب العزيز.

وظهر أثر هذه الحضارة في الاستجابة لدواعي التطوير على ما يعكسه الفصل الخاص بأثر البلاغة في تطوير المعجمية العربية على مستوى خطابي التصنيف والوظائف.

لقد كان هذا الكتاب في كل ما عالجه حريصا على التوقف أمام مادة المنجز، وأمام منهجيات التصنيف من جانب، ثم كان حريصا على استنطاق هذا المنجز من جهة ما هدف إلى تقديمه من غايات ومقاصد، وما سعى إلى ترجمته في تربة العلم، ورمى إلى تحقيقه، وهو ما يفسر انشغال الكتاب في فصوله جميعا بخطاب الوظائف.

إن المعجمية العربية الإسلامية بما هي نبت كريم لحضارة الكتاب العزيز كانت طماحة أبدا إلى معانقة النفع، والتطلع إليه.

كانت تتحرك في المجتمع العلمي، وعينها على ثلاث مناطق مجتمعة هي:

أولا- منطقة المستعمل؛ الإنسان العربي المسلم في طموحه نحو التعلم، والارتقاء، والتزكية.

ثانيا- منطقة المستقبل في طموح لا يتوقف، ولا يعرف حدودًا أو حواجز، تصحيحا لمنجز الماضي، واستكمالا لنواقصه، وتفتيحا لمسارات جديدة في التصنيف.

ثالثا- منطقة المادة؛ ذلك أنه يصعب أن تجد منطقة في الخريطة المعرفية لم تتقدم المعجمية العربية العامة والمختصة معا في التاريخ التراثي لعلم المعجم إلى خدمتها، والحنو عليها، والتعاطف معها.

وهو ما يفسر لنا ميلاد معجمات خادمة لعلوم الشريعة (علوم الغايات) وعلوم العربية (علوم الآلات)، وعلوم الحكمة معا.

لقد حاول هذا الكتاب؛ ولعله أحرز بعضًا مما يؤمله، أن يترجم عن أثر الفكرة الإسلامية في إنسانيتها وشمولها معًا في تاريخ المعجمية العربية.

إنني ما زلت أعتقد، وفي اعتقادي بعض من صواب، أن المعجمية العربية قادرة على أن تكشف عن رؤية جديدة للعالم أخرجها إلى النور هذا الدين العظيم.

***